

الفصل الخامس

زهرة الجزيرة العربية الغربية

يعيش هنا الساراكينوس - المشرقيون الذين يمجدون محمدا ويكرهون المسيحيين. وتوجد أيضا العديد من المدن والقصور، هنا الملاذ للكثيرين؛ حيث تأتي السفن محملة بالبضائع من الهند، كما يقصدها العديد من التجار. يجني سلطان عدن ربح الكثير وتحصل الكثير من الرسوم من السفن والتجار الذين يمرّون من هنا.

ماركو بولو

كانت عداوة الإمام يحيى للبريطانيين الذين استولوا على الجزء الجنوبي من اليمن في القرن التاسع عشر سببا للتعاون السوفيتي اليمني في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي. وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح «أصدقاء» الاتحاد السوفيتي هم أعداء المملكة المتحدة في الشرق الأوسط، سواء كانوا من الصهاينة المُعادين لبريطانيا في فلسطين، أو لاستبداد القرون الوسطى الثيوقراطي في اليمن، البلد الصغير والنائي والمتخلف.

ولا توجد أسباب أخرى تبرر موافقة الاتحاد السوفيتي على بناء ميناء في الحديدة، كبير نسبياً وفقاً للمعايير المحلية ومُكلف في نفس الوقت. صحيح، ربما كانت هناك خطط لاستخدامه في المستقبل كقاعدة للأسطول الحربي، ولكن لا توجد لدى الكاتب أدلة موثقة تثبت مثل هذه الفرضية. كان الاتحاد السوفيتي دائماً ما يؤيد في دعاياته السياسية موقف الإمام يحيى المعادي لبريطانيا.

وُقعت في عام 1955 معاهدة الصداقة بين اليمن والاتحاد السوفيتي، وبعد عام واحد وُقعت اتفاقية التجارة. وزار ولي العهد الأمير بدر الاتحاد السوفيتي في عام 1956، وقام بتوزيع هدايا تذكارية عبارة عن أكياس من البن اليمني الفاخر.

وفي عام 1961م اكتمل بناء ميناء الحديدة. وأُرسلت لنظام الإمام كمية معينة من الأسلحة أثناء الحرب العالمية الثانية. ثم وصل إلى اليمن فريق من المدربين العسكريين السوفيت.

أدت الثورة في عام 1962م إلى تأسيس الجمهورية، ثم الدخول في حرب أهلية. وتلا ذلك تدخلًا سافرًا في الشأن اليمني من جانب مصر التي أرسلت سبعين ألف جندي مصري إلى هناك دعمًا للجمهوريين وتدخل آخر من المملكة العربية السعودية التي دعمت القوات الملكية اليمنية. وقام الاتحاد السوفيتي أيضًا بدعم المصريين ونظام عبد الله السلال الجمهوري.

بعد الهزيمة في الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967، بدأت مصر بسحب قواتها من اليمن، ورفض التدخل في الشؤون العربية في مقابل الحصول على دعم مالي من المملكة العربية السعودية. وفي نوفمبر عام 1967 أُطيح بعبد الله السلال، وتولى المجلس الرئاسي السلطة في البلاد. وفي ديسمبر 1967 غادر المصريون صنعاء، وبدأت القوات الملكية اليمنية بمحاصرتها ولكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء عليها. وفي نوفمبر وديسمبر عام 1967، نظم الاتحاد السوفيتي جسرًا جويًا لنقل الأسلحة والإمدادات إلى مدينة صنعاء المحاصرة. يعتقد البعض أنها لعبت دورًا حاسمًا في الحفاظ على النظام الجمهوري؛ ولكن هناك آراء أخرى.

يقول ك. م. ترويفتسيف: كنت موجودًا في صنعاء خلال الحصار في عام 1967، عندما صمد النظام الجمهوري. لكن مساعداتنا لم تلعب دورًا حاسمًا. وكان العامل الرئيس يكمن في التوازن بين الاتحادات القبلية الرئيسية التي أدركت أنه من الأفضل لهم وجود جمهورية ضعيفة عن ملك قوي على العرش.

وعاد السلام إلى شمال اليمن، والذي كان قد توقف بسبب الانقلابات العسكرية. وكان التعاون بين الاتحاد السوفيتي مع هذا البلد تعاونًا عسكريًا واقتصاديًا، تمثل في إعداد الكوادر، واستمر أيضًا التعاون في المجال الطبي. وفي عام 1984 تم التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون.

عندما كانت الحرب دائرة في شمال اليمن، اشتعل الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية في جنوب اليمن. وراهنّت مصر ومن بعدها الاتحاد السوفيتي على جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل (FLOSY)، ولكن وصلت إلى السلطة منافستها الجبهة الوطنية التي نشأت على أساس حركة القوميين العرب، وتبنت الموقف اليساري الأكثر راديكالية، وقرر قادتها «عدم تذكر الشر»، وبعد إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي أعربت عن استعدادها



للتعاون معه بشكل وثيق. وسرعان ما حصلت السفن السوفياتية على تسهيلات في ميناء عدن، وحصلت الطائرات على مثلها في مطار عدن.

انتهى الصراع الداخلي في قيادة الجبهة الوطنية بالإطاحة بالرئيس قحطان الشعبي وانتصار اليساريين. وقادت مجموعة من القادة الراديكاليين بمختلف الأشكال والتوليفات البلاد أبعد إلى اليسار، وأخذوا يتشبهون بكل ما هو سوفيتي من الغناء «انترناسيونال» إلى تأسيس معهد النشطاء السياسيين في القوات المسلحة، والأيدولوجية الشيوعية، والبنية السياسية، بما في ذلك الأحزاب والتنظيمات الاقتصادية.

وقامت في جنوب اليمن جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، وبعد ذلك جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وتحولت الجبهة الوطنية التي اتحدت مع مجموعة صغيرة من الشيوعيين، برئاسة الإخوة باذيب والبعثيين، إلى حزب. إلا أنه وتحت الضغط السوفيتي، لم يطلق عليه الحزب الشيوعي ولكن سُمي بالحزب الاشتراكي. وأصبح جنوب اليمن «الطفل المدلل» لقسم الشؤون الخارجية للجنة المركزية للحزب الشيوعي.

بدأت سيطرة الأسطول الحربي السوفيتي على بحار العالم. وكان هناك تهديد أمريكي للاتحاد السوفيتي من ناحية المحيط الهندي؛ حيث ظهرت الغواصات المسلحة بالصواريخ من طراز "بولاريس"، "بوسيدون"، ثم "ترايدنت". وبعد ذلك توسّعت علاقات الاتحاد السوفيتي مع الدول الأفريقية عن أي وقت مضى. وفي ظل هذه الظروف كانت الأهمية الاستراتيجية لعدن واضحة جداً، وأعرب قادة اليمن الجنوبي طوعاً عن استعدادهم للتعاون على نطاق واسع.

في الحقيقة، لم يكن هناك اتفاق بين القادة في جنوب اليمن؛ ولكن لم يعترض أحد على التعاون مع الاتحاد السوفيتي. وبعد ذلك أُطيح برئيس الوزراء محمد علي هيثم، وقتل في الصراع الدموي الرئيس سالم ربيع علي. وقع الرئيس والأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني عبد الفتاح إسماعيل في أكتوبر 1977 على معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي. وكان واحداً من القليلين من القادة العرب الذين دعموا التدخل السوفيتي في أفغانستان.

في فبراير 1979، قامت قيادة جنوب اليمن بمغامرة، عندما بدأت العمليات العسكرية ضد الشمال على أمل تكرار السيناريو الفيتنامي ووضع الاتحاد السوفيتي أمام الأمر الواقع.

لكن قادة الحركة الثورية لم يسمحوا بتكرار ما حدث في الجنوب في الشمال، وتحركت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بشكل سريع وقدمتا السلاح والمستشارين إلى شمال اليمن. وفي النهاية، اقتنع طرفا اليمن بضرورة التوقف عن الأعمال العدائية والعودة إلى الحدود القديمة في جنوب اليمن، وتسبب ذلك في تقوية سلطة رئيس الوزراء علي ناصر محمد، ونفي عبد الفتاح إسماعيل خارج البلاد.

لكن إسماعيل استطاع العودة إلى البلاد، وتحدى علي ناصر محمد مستقوياً بأنصاره الكثيرين. وانفجر التنافس في صورة صراع أهلي دموي.

ويذكر ك. ن. بروتينس أنه "على الرغم من العلاقات الوثيقة جداً مع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي كانت أقوى من أي علاقة مع أي من الدول العربية الأخرى؛ حيث كان هناك حوالي 500 من المستشارين العسكريين السوفيت، وفي أوقات مختلفة كان يوجد ما يقرب من ألف ونصف إلى أربعة آلاف خبير مدني، لم تكن قادرين على التأثير بقوة على مسار الأحداث في هذا البلد الصغير. وتوضح تلك الملحمة جنوب اليمن مدى البعد الذي وصلت إليه الموجة اليسارية في تلك السنوات والفشل الذي أقرن بها نتيجة الظروف غير الملائمة. وأخيراً، تثبت هذه الملحمة أن السياسات السوفيتية التي كانت تبدو آنذاك طبيعية ومنطقية ضمن مخطط «حلول الاشتراكية ودعم الحلفاء الطبيعيين»، لم تكن كافية، ويمكن للمرء أن يقول إنها كانت مثالية، وبالغت في تقدير قدراتها وإمكانات القوميين الثوريين. . .

في 13 من يناير 1986، بدأ أعضاء في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني بالتجمع كالمعتاد حوالي الساعة 11:00 صباحاً لبدء اجتماع المكتب السياسي.

في الحادية عشرة إلا عشرة دقائق، اتخذ المشاركون بالفعل أماكنهم في انتظار علي ناصر محمد. كما جرت العادة، وفي حوالي الساعة الحادية عشرة دخلت إلى الفناء سيارة الأمين العام، وكالعادة، في قاعة الاجتماعات ظهر مبارك سليم أحمد رئيس حرسه يحمل حقيبة محمد وترمس الشاي؛ ولكن الحارس إقترب من طاولة المفاوضات التي عادة ما يجلس عليها الأمين العام، ووضع عليه ترمس الشاي، ثم أخرج من الحقيبة بندقية آلية وفتح النار على الجلوس.

وانضم إليه حارس آخر يدعى محمد كان واقفاً عند المدخل. ومات أعضاء من المكتب السياسي، وزير الدفاع قاسم، ورئيس لجنة الرقابة، علي شائي. وقد رأيت بنفسي بعد ذلك الجدران المغطاة بالأعيرة النارية — كشاهد فريد لتلك المذبحة.



في الوقت نفسه اقتربت مجموعة من القوارب من الشاطئ وقصفت عددا من مرافق المدينة بما في ذلك بيت إسماعيل، وشارك في ذلك أكثر من 500 من المسلحين من أنصار محمد من محافظة أبين مسقط رأسه، والذين تم إحضارهم سراً إلى عدن واختبأوا في مجمع المحافظة. وكان محمد نفسه ينتظر النتيجة في مكان ما على بعد 70 كيلو متراً من عدن.

لكن خطة محمد كان محكوما عليها بالفشل؛ ويرجع ذلك أساساً إلى إخفاق القتلة؛ حيث نجا إسماعيل الذي أصيب في ساقه، وبياد، وس. س. محمد (الأمين العام المقبل للجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ونائبه) وبمساعدة الحراس الشخصيين تمكنوا من الهرب، وتحصنوا في إحدى الغرف التي أبلغ منها إسماعيل الجيش بكل الأحداث التي وقعت. وبعد ذلك، خرجوا إلى الشارع من خلال النافذة، وجلس إسماعيل في ناقلة جند مدرعة، سرعان ما تم إحراقها. واعتقد في ذلك الوقت أن إسماعيل قد مات؛ ولكنهم لم يعثروا على جثته.

وقعت في المدينة معركة شرسة استمرت لمدة أسبوعين تقريباً، وأدت إلى دمار كبير وخسائر. انهزم محمد وهرب مع مجموعة من المؤيدين إلى الخارج.

. . . تفاجأنا جميعاً بالعمل الإرهابي الذي قام به محمد. لم نكن نتوقع هذا منه."

وفي الواقع سيطرت المفاجأة على القيادة السوفيتية، على الرغم من أنه في عشية هذه الأحداث كان الصبية يصيرون بإمكانية وقوعها في شوارع عدن. "هذا لا يمكن أن يكون، لأنه لا يمكن أبداً أن يحدث". وكان ميخائيل جورباتشوف الذي جاء إلى السلطة مؤخراً مشغول بأمور أخرى. لم يكن هناك أحد في موسكو يستطيع اتخاذ القرارات. وتقاتل الطرفان على مدى أسبوعين كاملين، مما أسفر عن سقوط آلاف القتلى والجرحى.

وكان الجانبان على علاقة ودية مع الاتحاد السوفيتي. ولم يصب أي من الطرفين المواطنين السوفيت بأي أذى. وفي نهاية الشهر بدأ المستشارون السوفيت في العودة إلى البلاد بعد إجلائهم، وبدءوا يرسلون المساعدات الطارئة جواً من الاتحاد السوفيتي. زار وفد عسكري سوفيتي عدن في شهر مارس، وقام الأمين العام الجديد للحزب الاشتراكي اليمني علي سالم البيض عشر بإلقاء كلمة في المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي، واجتمع مع غورباتشوف. وبدأ أن كل شيء قد عاد إلى طبيعته. وكُلف إيجور ليجاتشيف بمتابعة الوضع في اليمن الجنوبي؛ ولكن لم يكن لديه الوقت للقيام بذلك. وبالتالي لم تحصل موسكو على نتائج هامة في هذا الشأن.

واعتبرت الجمهورية العربية اليمنية حكومة موالية للغرب. وقدمت المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة لها المساعدات المالية والنقدية والعسكرية. وزادت المساعدات والمعدات المُقدّمة بعد الاشتباك العسكري مع جنوب اليمن. في مارس 1979 أرسلت الولايات المتحدة أسلحة لشمال اليمن بقيمة 300 مليون دولار دفعت تكلفتها المملكة العربية السعودية. ولكن في أواخر صيف عام 1979 وقعت الجمهورية العربية اليمنية اتفاقاً بشأن توريد الأسلحة من الاتحاد السوفيتي. وأرادت صنعاء أن تلعب لعبة الاستقلال، وظلت علاقات الصداقة القديمة مع الاتحاد السوفيتي ورقة رابحة في علاقاتها مع المملكة العربية السعودية، والولايات المتحدة.

إن القيادة الجديدة لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية برئاسة سالم البيض التي أدركت المأزق الاجتماعي والاقتصادي الذي تعاني منه البلاد، واستطاعت بشكل صحيح تقييم رغبة الاتحاد السوفيتي في الحد من التزاماته تجاه جنوب اليمن، قرّرت أن تذهب للاتحاد مع الشمال. لقد كان قراراً صعباً. ولكن عملية الاتحاد تمت بسرعة، وساعد على ذلك أنه كان يوجد لدى السلطات في الجنوب الكثير من أهل الشمال، وفي الشمال يوجد الكثير من الجنوبيين.

كان توحيد اليمن بهذه السرعة أمراً مفاجئاً حتى بالنسبة للمتخصصين المستعربين في الاتحاد السوفيتي. ويمكنني القول إن بعض الشخصيات ومؤسسات السياسة الخارجية في الاتحاد السوفيتي المعنية بشؤون جنوب اليمن، قد قاومت عملية الاتحاد بشدة؛ ولكنهم لم يضعوا عراقيل حقيقية؛ بل لم يكن بمقدورهم وضع أي عراقيل.

مما لا شك فيه أن توحيد اليمن رفع العبء الأيديولوجي والسياسي بالنسبة للاتحاد السوفيتي تجاه نظام جنوب اليمن، وحافظ على مزايا العلاقات الودية التقليدية التي كانت مع طرفي اليمن.

و بعد انتهاء «الحرب الباردة» فقدت المزايا العسكرية التي ظفر بها الاتحاد السوفيتي في عدن أهميتها، وتجاهلت موسكو بكل بساطة موقف القيادة اليمنية الموالي للعراق خلال أزمة الخليج. وصار عدم التدخل التقليدي في الصراع بين الدول العربية أحد مسلمات السياسة الخارجية لموسكو.



سنلقي نظرة «من أعلى» على جنوب اليمن، ونعرض وجهة نظر شخص كان قريباً من قمة الهرم الحزبي، وهو ر. أ. أوليانوفسك.

المؤلف: لم يستوعب الاتحاد السوفيتي ما حدث في جنوب اليمن من تشابك في التوجهات السياسية والأيدولوجية، والعسكرية الاستراتيجية، عندما قام هذا النظام المدلل وحزبه (أتذكر جملة "جورشكوف" سأمنح نصف أسطولنا في المحيط الهندي مقابل هذه القاعدة). ماذا حدث هناك؟

ر. أ. أوليانوفسك: إن دعمنا للحكومة التقدمية كان من أجل أن نكون قادرين على مجابهة المواقع العسكرية الاستراتيجية الأمريكية باستخدام مواقعنا. ولعب أسطولنا، بطبيعة الحال، دوراً في ذلك.

المؤلف: هل تعتقد أن التحولات في جنوب اليمن التي نسميها بالتحولات التقدمية، لم تتوافق مع بنية أو طبيعة المجتمع اليمني الجنوبي؟

ر. أ. أوليانوفسك: كان جنوب اليمن عبارة عن مستعمرة كلاسيكية للإمبريالية البريطانية. كانت هناك الجماهير المعادية لبريطانيا، والطبقة العاملة. ظهرت في الآونة الأخيرة، لدينا موضة إدانة هذه الأنظمة. القطاع العام على سبيل المثال. . . لا داعي، فليكن التغيير هناك على منهج البرجوازية.

المؤلف: ولكن الأنظمة القديمة اتحارت الآن حتى في أوروبا الشرقية. وصار واضحاً أنهم يسرون تجاه الغرب.

ر. أ. أوليانوفسك: أنا لا أتفق معك.

المؤلف: الآن نحن أنفسنا نتغير، ونقوم بتغيير العديد من توجهاتنا داخل البلاد. في ظل هذه الظروف، فإن الأنظمة في «العالم الثالث» التي أخذت بعض من ملامح النموذج السوفيتي، تبدو ممقوتة؛ حيث نلاحظ تأميم مبالغ لانشطة التجارة، وجماعية مفرطة في الريف، والإفراط في التركيز على القطاع العام فقط في الصناعة، ناهيك عن الهياكل السياسية.

ر. أ. أوليانوفسك: بالنسبة إليهم أصبحت الدولة هي الحاضنة لاقتصادها. نعم! فأين البرجوازية الوطنية التي تتوفر لديهم، التي ستمكن من تطوير الصناعة؟ غير موجودة، ولا يوجد لديهم أيضاً ملاك. فهل تسمي هذا عمل جماعي؟ أنا أسميه تعاون.

المؤلف: عفوًا، ولكن على ما يبدو هنا يمكننا الدخول في جدال. عندما كنت في عدن قبل تطبيق نظام الاقتصاد الجماعي أو التعاوني كان سوق عدن والسواحل ممتلئة بالأسماء، وبمجرد أن قاموا بتوحيد الصيادين على الأساس التعاوني، اختفت الأسماء. هذا مثال كلاسيكي. ولم تكن هذه المغالاة تحدث دون تأثير منا، أو دون الدوغمائية، التي كانت مدرستنا الحزبية تعمل على ترسيخها في رؤوسهم. فهناك نسبة من المسؤولية تقع على عاتقنا.

ر. أ. أوليانوفسك: لا! نحن لن نأخذ هذه المسؤولية على عاتقنا، فنحن قد درسنا لهم النظرية، التي يمارسونها، ولم ن تدخل في السياسة العملية؛ بل وأكثر من ذلك كنا نخبرهم دائماً أنه يجب عليهم أن يكونوا حذرين، وعليهم أن يكونوا ذا نظرة مستقبلية، ويتحركوا فقط على أساس قدراتهم.

لم يكن الأمر يستحق الجدل مع أوليانوفسك. كان العالم في الخارج يعيش عصراً مختلفاً، يستطيع فهمه وقبوله فقط الأشخاص الذين لا تثقل كاهلهم القنوات السابقة.

و. ج. بيرسيكين - عميد الأكاديمية الدبلوماسية، والسفير السابق في اليمن وليبيا (وبعد انتهاء فترة عمادة الأكاديمية الدبلوماسية السفير في لبنان)، هو أحد الأشخاص المستبعد نسبتهم لأولئك الذين يشاطرون أوليانوفسك في وجهات نظره.

المؤلف: هل توافق على أن نحجنا تجاه الأنظمة الاستبدادية الثورية كان أيديولوجيا وأعاق سياستنا العامة؟

و. ج. بيرسيكين: أنا أتفق معك في فكرة أنه في مرحلة ما مارست القيم الأيديولوجية ضغطاً على المصلحة العامة، وحينئذ اتخذت قرارات على حساب المصلحة العامة كانت غير مفيدة للاتحاد السوفيتي. ومن المعروف أن جنوب اليمن كان يعدّ دولة ذات توجه اشتراكي، بمعنى أنها كانت تسترشد بالاشتراكية العلمية، واتخذت مبادئ الماركسية اللينينية أساساً لها. وقد ساعدناه أن ينشئ مؤسسات كالتي لدينا. أرسلنا مجموعة كبيرة من خبراءنا الذين قاموا بتدريبهم على فعل ما نرفضه في الوقت الراهن بالضبط. فتسببت مدرسة الحزب الواحد في خلط الأمر عليهم أيديولوجياً. وقد قمنا بتأهيل مئات الحاصلين على الدكتوراة لليمن الجنوبي، وأعدنا تدريب أجهزة الحزب بأكمله، وجهاز الدولة أيضاً، كما أعدنا تدريب القوات المسلحة.



المؤلف: ما المكون الرئيس الذي هيمن على علاقتنا بجنوب اليمن: هل هو السياسي الأيديولوجي عندما كنا نحن أنفسنا ضحية للأوهام الخاصة أو الاستراتيجية العسكري؟

و. ج. بيريسيكين: ربما كانا الأمران يسيران في خط متواز، أقصد المصالح الاستراتيجية والأيديولوجية. كنا نعتقد أن جنوب اليمن هو حالة فريدة من نوعها. ففي بلد صغير كاليمن سيكون من الأسهل علينا استيعاب الأمر وخلق نموذج ناجح عنه في بلد كبير مثل مصر. وقد انطلقنا من فرضية أن الاشتراكية العلمية هي نظرية عالمية، وأردنا هنا بالتحديد أن نثبت أن بلدا عربيا صغيرا غير متطور، وكان في السابق مستعمرة بريطانية، إلا أنه تبني في النهاية شعارات الاشتراكية العلمية وسوف يخطو خطوات كبيرة إلى مستقبل أكثر إشراقا. . .

المؤلف: وهل غضضنا الطرف عن حقيقة أن البلاد تعاني من التدهور الاقتصادي؟

و. ج. بيريسيكين: حدث كل هذا، ولكن كان الهدف هو مساعدتهم في "بناء الاشتراكية"، ووضع خبراءنا المشاريع وخطط التنمية الخمسية، وقد توفر في كل وزارة اثنين أو ثلاثة تقريرا من مستشارينا، الذين كانوا ينطلقون في أحسن الأحوال من خبراتهم الخاصة. وقد أكدوا لنا أن قادة جنوب اليمن وضعوا اقتصاد البلاد في مأزق؛ ولكني أغفر لهم هذا فقد استمعوا إلى الأخوة الكبار لهم، وهم الذين "بنوا الاشتراكية" ومن ورائهم دولة قوية كبيرة، ومجموعة من ذوي الخبرة. وبطبيعة الحال قد فعلوا ما نصحنا لهم. ولذلك فإن فشل الدول ذات التوجه الاشتراكي، يرجع إلى مساعدتنا لهم وتأثيرنا عليهم. ولكن بطبيعة الحال، فرضت المفاهيم الخاطئة لدينا على تقاليدهم وعلى العلاقات القبلية، فازدهرت هذه الزهرة السامة التي من الصعب أن نتخيلها. خذ على سبيل المثال أحداث يناير 1986، عندما اشتبك فصيلان من الحزب، على الرغم من أنه كان لديهم ميثاق واحد وبرنامج واحد. إلا أنهما في الواقع، لم يختلفا عن بعضهم البعض كثيرا وقاما بمجازر رهيبة. . .

المؤلف: . . . وخسروا حينئذ بضعة آلاف من النخبة الصغيرة الخاصة بهم التي تحتاجها البلاد في أي وقت مع أي نظام.

و. ج. بيريسيكين: نعم. على كل حال، هذا يدل على أن هناك مسؤولية كانت تقع علينا. طلب زعماء الجنوب اليمني مساعدتنا في إنشاء الجيش. وكنا نعرف أن الجيش يمثل حملا لا يتناسب مع دخولهم المتواضعة جداً. لكننا قدمنا لهم كمية كبيرة من الأسلحة وأعدنا لهم الضباط. ثم أعطيناهم قروضا لسداد النفقات العسكرية.

المؤلف: ربما، من حيث المبدأ، نحن لم نهدف لتحريضهم على شمال اليمن والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان؛ ولكن الحقيقة تكمن في أن تعزيز الجيش والقوات الجوية، وهذه الجبال من الأسلحة كل هذا كان يدفع الأمور في اتجاه ارتكاب أعمال وحشية.

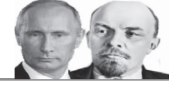
و. ج. بيريسيكين: وعلاوة على ذلك، أريد أن أقول إننا بشكل عام نقلنا إليهم طريقتنا في التفكير ورؤيتنا وتصورنا لهذه الفترة. كنا نعتقد أنه إذا قام أحد بالإساءة إليك، وإذا كان هناك مجرد نية للهجوم عليك، فهنا ليس من الضروري التفاوض معه؛ ولكن يجب الاستعداد بالسلح والاستعداد لصد الهجوم. لنفترض أنه كان هناك تهديد من جانب المملكة العربية السعودية، فبدلاً من أن نقوم بتوجيه النصح لبدء المفاوضات وإيجاد نوع من التسوية قررنا تزويدهم بمئة دبابة والمزيد من الطائرات. . . في المرة التالية عندما يكون هناك تهديد جديد، سيلجؤون إلينا وبدورنا سنقوم بتزويدهم بأسلحة من جديد.

المؤلف: على هذه الأرض نبتت زهور في غاية الخطورة. عندما بدأ الجنوبيون حربهم ضد الشمال في ربيع عام 1979، قال لي الأخ باذيب - الثاني من الإخوة - وهو في حالة سكر: «نعم، بدأنا هذا العمل. إذا انتصرنا، ستكون هناك اليمن العظيمة. ولكن إذا خسروا، فإنكم ستساعدوننا وتنقذوننا».

و. ج. بيريسيكين: إذا كنا نتحدث عن العلاقات بين الأطراف اليمنية فقد أثرت عليها العقائد الأيديولوجية. رأى الجنوبيون أنهم بحاجة إلى بناء الاشتراكية، ولكن بلادهم فقيرة جداً وصغيرة. ولكن إذا اتحدت مع شمال اليمن الأكثر ثراءً، وأكثر سكاناً فسيكون من السهل عليهم تحقيق أهدافهم الاستراتيجية. قلل اعتقادهم بأنهم يمتلكون الفكر الأكثر تقدماً، من فرص التوصل إلى حل وسط، ودفعهم لاتخاذ موقف متشدد ضد الدول المجاورة. وكنا سعداء أنهم يدعموننا في كل شيء، حتى في أفغانستان.

المؤلف: أحببنا هذا الأمر بشدة ؛ فقد كان لدينا حليف "أمين"، على الرغم من أن تقديم الدعم لنا من هذه البلدان في الواقع كان يعجل بتدميرنا لأنفسنا.

و. ج. بيريسيكين: هذا ما نعتقد الآن. ولكن في السابق كنا نعتقد أن أصدقاءنا هم أولئك الذين يصوتون لصالحنا على جميع مقترحاتنا في الأمم المتحدة، وفي الفترة الأكثر صعوبة لنا كانوا يقدمون الدعم المعنوي. ولكننا بصراحة كنا نشترى هذا الدعم؛ فارتبطت كل أشكال التصويت في الأمم المتحدة، أو أي تحركات أخرى على الساحة الدولية بطلبات الحصول على



إمدادات إضافية، ومميزات اقتصادية أخرى إلخ. وكنا مستوعبين لذلك جيداً، ولكن لم يكن لدينا سبيل آخر، لأننا كنا في حاجة إلى هذا الدعم "المعنوي والسياسي" الذي يقدمونه لنا. حسناً، رغم أن قدراتنا الاقتصادية ضعيفة فقد اكتفينا ببناء محطة توليد كهرباء وميناء صيد في جنوب اليمن. هل يوجد شيء كبير آخر؟ - وفي مقابل الدعم السياسي قدمنا السلاح مرة أخرى.

الموظف في الجهاز الرئيس في الكي جي بي (المخابرات): أنا أتفق مع بيريسيكين: فقد كنت أصطدم باستمرار بهذا النهج. ولكن خطط بناء الاشتراكية هو «أمر غير ضروري على الإطلاق». لم يسمح للقسم الدولي في اللجنة المركزية بالاقتراب مثلاً من العلاقات السوفيتية اليابانية أو السوفيتية الأمريكية، لتبرير وجودها. "فأخرجنا طاقاتنا في اليمن". (كانت تلك بمثابة العظام التي ألقته قيادة البلاد والحزب على مذبح الأيديولوجية).

المؤلف: هل كان من الضروري وجود مواقع استراتيجية وعسكرية لنا في عدن؟ كان يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن الأميركيين لديهم ديبغو غارسيا.

و. ج. بيريسيكين: نعم، لقد بدأنا في الواقع في السبعينيات الانطلاق نحو المحيط الهندي، فمن قبل كانت توجد السفن الغربية فقط. وقد كانت عدن ذات أهمية كبيرة، نظراً لأننا لم يكن لدينا مواقع في المحيط الهندي. وكان حلفائنا في وقت ما هم البرابرة، عندما كانت الصومال صديقتنا. ولكن عدن كانت أفضل وأكثر تجهيزاً من قبل البريطانيين. أكد لي جورشكوف الذي التقيت به عندما كان في عدن بشدة على أهمية هذه القاعدة. عندما طردوا البريطانيين وقاعدتهم قمنا بالتصفيق، والآن نحن أنفسنا نحاول التسلل. من الناحية السياسية لم تكن هناك كياسة لأننا قمنا بصورة رسمية بمداهمة بعض المنشآت العسكرية خارج الحدود الوطنية. لم تسمح قيادتنا لجورشكوف بإنشاء قاعدة حقيقية. تأسست هناك نقطة مهمة للاتصال على ما أعتقد في جبل خارج حدود عدن. وقد حصلنا على تصريح مرور سفننا للإصلاح والراحة وتغيير الطواقم. كان لدينا هناك مستشفى عسكري ومخزن نفط. وبالمناسبة لم يكن هناك أي شيء لنا في جزيرة سقطري. كان البحارة أحياناً يلعبون الكرة الطائرة. تهب في سقطرى الرياح القوية ستة أشهر في السنة، لا يوجد ميناء، لذلك كانت سفننا تقف على «البراميل» على الجانب المواجه للريح. وأحياناً يتم الإصلاح في البحر.

المؤلف: كيف كانت ستتشكل مصالحنا في البحر الأحمر عن طريق عدن؟

و. ج. بيريسيكين: الطريق إلى الشرق الأقصى من البحر الأسود عبر قناة السويس هو أقصر بكثير من الطريق حول أفريقيا. وبطبيعة الحال، فنحن مهتمون بالعلاقات الودية مع الدول الواقعة على طول الطريق الذي تسير فيه سفننا؛ فقد كانت ومازالت هناك بعض المصالح الاقتصادية. ففي الماضي وحتى اليوم لدينا منافذ تجارية في الحديد وجدة ومصوع وجيبوتي وبورتسودان، وبعضها قد أسست في العشرينيات من القرن الماضي.

المؤلف: تعني باختصار: حرية الملاحة والتعاون الاقتصادي مع دول الساحل. هل الأمر كذلك؟

و. ج. بيريسيكين: نعم، من هذا القبيل.

المؤلف: وما هو موقفنا من شمال اليمن؟

و. ج. بيريسيكين: حولت تجربة جنوب اليمن اليمنيين الجنوبيين إلى أعدائنا، وفي شمال اليمن كانت لنا علاقة رائعة. كانت الحجاز (في وقت لاحق المملكة العربية السعودية) البلد العربي الأول الذي أنشأنا معه علاقات، ثم تأتي اليمن في الترتيب بعدها. اتخذنا كما يقولون في الوقت الحالي طريق المساعدات الإنسانية والتجارة، على سبيل المثال: وُجد هناك أطباءنا، وقمنا بتوريد بضائع السلع الإستهلاكية. قمنا ببناء ميناء كبير في الحديد. ثم بنينا الطرق ومصنعا صغيرا للأسمت. افتتحنا مستشفيات، ومدارس مهنية تقنية، ولم تكن هناك أية أيديولوجية. وقدمنا لهم الدعم السياسي ضد المملكة المتحدة، وتعاملنا باحترام مع هذا الشعب قليل السكان.

و حتى قبل الثورة في عام 1962 كان شمال اليمن نموذجًا للسياسة الحكيمة: فالدولة الاشتراكية العملاقة أي الاتحاد السوفيتي أنشأت علاقات صداقة مع مملكة فقيرة ومتخلفة وصغيرة، وعقدت معها اتفاقية صداقة وتعاون ولا تتدخل في شؤونها الداخلية. كان الأمر يسير بهذه الطريقة. فعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والغياب التام لأي أيديولوجية وضعت علاقتنا معهم على أساس طبيعي وصحي للغاية.

المؤلف: هل كانت للمساعدات التي قدمناها لقوات المشاة المصرية أي تأثير في تغيير العلاقة تجاهنا؟



و. ج. بيريسيسكين: يعتبر اليمنيون على المستوى الرسمي أن المصريين بتدخلهم قدموا مساهمة إيجابية ومحددة في حدوث التطوير في اليمن. فلو لم يكن هناك المصريين، لم يكن ليُكتب لهذه الثورة البقاء؛ لأن القوات الموالية للملكيين كانت كبيرة جداً، وتجاوزنا العدوة المؤقتة تجاه المصريين. كان يجمعنا بهم تعاون سياسي واقتصادي وتجاري وعسكري؛ ولكن لم تكن هناك أية أيديولوجية. واتضح أنه عندما كان بيننا تقارب أيديولوجي انتهى الأمر إلى دمار وخراب وعندما كانت لدينا علاقات طبيعية لم نهدف منها إلى المساعدة في "بناء الاشتراكية" استطعنا المحافظة على علاقات جيدة بصورة مدهشة كما حافظنا على التفاهم والتعاون. وهذا يمثل بطبيعة الحال واحدة من المفارقات. . .

المؤلف: ولعل هذا التناقض يظهر الحقيقة. لا ننسى أن خرجينا موجودون تقريباً في جميع قطاعات الاقتصاد اليمني، وفي جميع مجالات الحياة.

و. ج. بيريسيسكين: هذا أمر طبيعي. كان التعاون مع اليمن الشمالي شبيه بالعمل في مزرعة صغيرة في وادي سوردوت. بعض الأشخاص اشتغلوا، فوجدوا المياه. . . حفروا بئراً. . . خططوا الحدائق ومزارع الموز والطماطم وغيرها من الخضروات. وهذا هو أمر واقع. لا حاجة لإنشاء محطات الآلات والجرارات العملاقة. .

المؤلف: أو إرسال ماكينات حصاد الحبوب «نيفا» إلى حضرموت؛ حيث كانت تقفز على الصخور، مما أثار السخرية.

و. ج. بيريسيسكين: في باجل بُني مصنع أسمنت، يعمل وفقاً للمقاييس السوفيتية: 50 ألف طن سنوياً. . لكنهم كانوا ينقلون الأسمنت بواسطة السيارات والجمال والحمير إلى جميع أنحاء اليمن. ويوجد مستشفى بالدعم الذاتي تحت راية الصليب الأحمر. . .

المؤلف: كيف سيتم تحديد سياستنا تجاه اليمن الموحدة؟

و. ج. بيريسيسكين: من الضروري أن نأخذ كل الأشياء الإيجابية التي كانت في علاقاتنا مع الشمال، والعلاقات الطيبة مع الجنوب ونبذ الأيديولوجية.

المؤلف: وموقفنا تجاه العلاقات بين اليمن والمملكة العربية السعودية؟

و. ج. بيريسبيكين: عدم التدخل الكامل والمطلق. وبطبيعة الحال، فإن السعوديين ينظرون بتوجس إلى الدولة الجديدة الأكثر سكاناً في شبه الجزيرة العربية؛ ولكن هذه مشكلتهم وليست مشكلتنا. يجب علينا الحفاظ على علاقات متساوية وودية مع كليهما.

تحدث ف. ب. بولياكوف سفير الاتحاد السوفيتي السابق في جنوب اليمن، وهو الرئيس السابق لقسم الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي أصبح مرة أخرى سفيراً للاتحاد السوفيتي (في وقت لاحق روسيا) في مصر عام 1991، عن بعض وجهات النظر فيما يتعلق باليمن.

المؤلف: ما هو موقفنا نحو توحيد طرقي اليمن؟

ف. ب. بولياكوف: كان إيجابياً. لقد كانت لديهم دائماً الرغبة في الاندماج.

المؤلف: هل كانت هناك أخطاء في سياستنا في شبه الجزيرة العربية؟

ف. ب. بولياكوف: أكبر هذه الأخطاء التي لا يمكن غفرانها عندما سحبنا في عام 1937 بعثتنا من المملكة العربية السعودية.

المؤلف: ألا تظن أن اهتمامنا العسكري الاستراتيجي الكبير في عدن كان خطأ؟

ف. ب. بولياكوف: أنا لا أعتقد أن هذا كان خطأ. الآن يقول شخص ما: لماذا كان من الضروري تقديم المساعدة إلى جنوب اليمن؟ لماذا كنا في حاجة إلى المنافع العسكرية؟ إذا كانت ظروف الحرب الباردة قد سيطرت سابقاً فإن تعاوننا مع اليمن قد تم في ظروف مغايرة وعلى قاعدة المصالح المشتركة، فيجب دفع الثمن مقابل السياسات الكبيرة. كان علينا أن ندفع الثمن حتى يستطيع بحارتنا رؤية المنطقة الخضراء. بالمناسبة، كنا نقترح دائماً على الأميركيين أن نقوم بإخراج الأساطيل من البحر الأبيض المتوسط ومن المحيط الهندي. ولم يسع الأميركيون نحو ذلك. بالطبع، اختلف الوضع اليوم؛ ولكن في ذلك الوقت كان هناك موقف سياسي واستراتيجي محدد. وكنا ننطلق منه.

استكمالا لمجموعة وجهات النظر حول العلاقات السوفيتية اليمنية، سوف أقوم بعرض محادثة مع أحد شهود العيان على الأحداث السابقة في عدن - وهو ك. م. ترويفتسيف.

المؤلف: هل كان دعمنا للمؤسسات اليسارية الماركسية الكاذبة وشبه الماركسية في جنوب اليمن سبباً في إفساد العلاقات؟



ك. م. ترويفتسيف: الحقيقة دائماً ملموسة؛ الماركسية السوفيتية أمر، والماركسية التشيكية أو اليمنية أمر آخر. في جنوب اليمن غالباً يصبح قادة الأحزاب أشخاصاً مختارين من قبيلة ما. ولم تحدث مشاكل مع الاتحاد السوفيتي حتى عام 1986؛ حيث اجتمعت لجنة للمصالحة بين الجانبين في السفارة السوفيتية. ومن الممكن أن تؤكد مئة في المئة أنه حتى على المستوى الشعبي أصيبت العلاقات بالتوتر بيننا وبين اليمن الجنوبي؛ فجنوب اليمن ليس أوروبا الشرقية. لم يسبقهم الاتحاد السوفيتي إلى هذا الطريق السياسي، لكنهم هم من اخترعوا هذا الطريق طواعية.

المؤلف: لكنهم اخترعوا هذا الطريق لأن نموذجنا البراق قد أغراهم.

ك. م. ترويفتسيف: ولكنهم لم يكن لديهم أي عقد تجاه الروس، كما يوجد على سبيل المثال عند العرب الآخرين ضد البريطانيين. حيث ارتبط الإنجليز بالاحتلال، ولكن هنا الوضع مختلف؛ حيث لا احتلال. نحن هنا مدعوون. حتى المزايا العسكرية قدموها لنا بأنفسهم.

المؤلف: من المثير للاهتمام أن ننظر إلى كل شيء في إطار تطوره. في مسار التطوير ما هو سلبي اليوم قد يكون إيجابياً غداً، والعكس بالعكس. انطلاقاً من هذا المعنى، كانت جهودنا في جنوب المملكة في تصاعد.